

ملتقى دولي بعنوان: الموروث الثقافي والسياحي ودوره في خدمة التنمية المستدامة

عنوان المحور: الموروث الطبيعي والثقافي و الأبعاد التنموية الجديدة

عنوان المداخلة: المجتمع الواحاتي التواتي والتنمية المستدامة

من إعداد: سعدون مراد (طالب دكتوراه تخصص

أنثروبولوجية التنمية بجامعة ورقلة).

أ.د خليفة عبد القادر جامعة ورقلة- الجزائر.

البريد الإلكتروني: saadoun.mourad@yahoo.com

الملخص:

يعد المجتمع القصورى التواتى موروث طبيعى تزخر به الصحراء الجزائرية ، يحكى عمق ذهنية إجتماعية متميزة ومتواصلة، يعبر عن تعاقب الحضارات فى هذه المنطقة التى شهدت تحولات عميقة نتيجة عوامل داخلية وأخرى خارجية مما يستدعى دراسته دراسة أنثروبولوجية تسعى لمعرفة هذا الموروث الطبيعى ومساهمته فى التنمية المستدامة، من خلال الوقوف على رهن المجتمع الواحاتى التواتى إقتصاديا وإجتماعيا ، وفهم المكانة التى يشغلها فى التنمية المستدامة من خلال التطرق لتلك التحولات التى عرفها هذا المجتمع ومساهمته فى الإقتصاد الوطنى ،إن التحولات التى عرفتها الواحات التواتية شملت جميع جوانب الحياة من عمليات توسع البنية العمرانية التى ساهمت فى زيادة وإتساع الإطار العمرانى والمجالى بالقصور، إضافة إلى السياسات والمشاريع الموجهة التى أنتجت ديناميكية داخلية للمجتمع حيث عرفت التوجه فى سوق العمل نحو قطاع الخدمات العامة وقطاع الصناعة .

الكلمات المفتاحية: المجتمع القصورى ، الواحات التواتية ، التنمية ، التحولات.

Abstract

Touat rural society is considered as a natural inheritance in the Algerian sahar ,Which expresses the continuity of civilization in this region. This area has witnessed different changes and derelopenents as a reason of internal and external factons.This situation seeks for an anthropological study of this maturall inheretance and its contribution in the permanent investment.This study is made through the analysis of the touat soriety economicaly and socialy to know the extent of contribution into the Adrarian investment .In relation to the the mational economy.

The changes that the touat oases knew has effected the defferent partsof life including the development of construction which contributed in the development and the expending of touat society. In addition to the political projects whih creates an internal dynamics to this society to manage into business and manufacture.

Key words: Touat oases, rural society, investment , developmant.

مقدمة:

المجتمع القصورى التواتى أو المجتمع الواحاتى، مجتمع متميز فى بنائه الاجتماعى، فى نمط عمارته، فى عوائده فى تدبير حياته اليومية، فى نمط معيشتة، وفى مزاجه، ومقدساته ورموزه، وفى موروثاته الشعبية وفى مجالاته، التى تحكى عمق ذهنية إجتماعية متميزة ومتواصلة، وهو عبارة عن تفاعل لعدة عناصر معقدة جداً متشابكة ومتنوعة تخضع للعديد من المحددات البيئية والاجتماعية والاقتصادية والمؤسسية، وعلى هذا الأساس فإن مفهومنا للمجتمعات الواحاتية يتحدد بمجموعة من الأنشطة المادية أو الفعاليات المادية والذهنية التى يقوم بها الإنسان ضمن حدود بينته من أجل ضبط الظروف المحيطة به وإمكانياته المادية والعقلية التى تتأقلم معه، فالصحراء اليوم تتوفر على ثروات وفى مجالات عدة تمثل محرك التنمية الوطنية لتحقيق التنمية

المستدامة والتي تعتبر من تحديات العصر الحالي، فالصحراء الجزء الأكبر من رقعة هذا الوطن لم تبخل بثرواتها ومواردها الطبيعية والبشرية، فإستوطنها الإنسان منذ القدم وسعى من خلالها لتأمين معيشته وبالأخص العمل الزراعي والذي ينتشر في المجتمع التواتي، والواحات التواتية اليوم تمثل موروثا طبيعيا يعبر عن تعاقب الحضارات في هذه المنطقة التي شهدت تحولات عميقة نتيجة عوامل داخلية وأخرى خارجية لاسيما في القرن العشرين، مما يستوجب دراسته دراسة أنثروبولوجية تسعى لمعرفة هذا الموروث الطبيعي ومساهمته في كل بعد من الأبعاد الثلاثة للتنمية المستدامة.

إن الهدف من هذه الدراسة هو الوقوف على رهن المجتمع الواحاتي التواتي إقتصاديا وإجتماعيا، وفهم المكانة التي تشغلها المجتمعات الواحاتية في التنمية المستدامة، من خلال التطرق للتحولات. الكبرى التي عرفها المجتمع التواتي، ومساهمته في الإقتصاد الوطني. محاولينا في ذلك الإجابة على التساؤلين التاليين:

1- ماهي التحولات التي شهدتها المجتمع التواتي؟

2- كيف تساهم الواحات التواتية في التنمية المستدامة؟

1-توات الواحة المنسية:

الواحة هي المكان الذي يمنح الراحة النفسية والفيزيائية للإنسان في وسط عدائي قاسي، هذا التعريف اللغوي، أما تعريفها الإصطلاحي فالواحة فضاء حي يقع في منطقة صحراوية حول نقطة مائية في منطقة زراعية خصبة في إقليم جاف، فالواحة ليست منظومات إيكولوجية طبيعية بل هي نتاج للذكاء البشري في الصحراء فهي حصيلة خطة حقيقية في تنظيم المجال الصحراوي، تهدف إلى الحد من امتداد التصحر بإنشاء مناطق ومجالات بيئية متوازنة.¹

يعد إقليم توات إحدى أكبر الواحات الصحراوية الجزائرية قدما وحضورا، وتاريخا وحضارة، تتميز فيها أنواع السلالات ، منطقة تحتوي على العشرات من الخزائن والمكتبات ومستودع عشرات الآلاف من المخطوطات والمصنفات، منطقة أعجوبة الألف فقارة وفقارة، وموطن مئات الآلاف من أنواع النخيل والنباتات

¹ - عرباوي كوثر، تأثير النخيل على الجزيرة الحرارية العمرانية حالة الدراسة قصر ورقلة، مذكرة ماجستير في الهندسة المعمارية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014-2015، ص 41.

وحتى الحجارة.²يقع هذا الإقليم في جنوب غرب الصحراء الجزائرية التي هي جزء من الصحراء الكبرى الإفريقية، وتبعد أقرب نقطة منه عن العاصمة الجزائرية بحوالي 1500 كلم، وهذا الإقليم يشتمل على عدد من الواحات والمدن والقصور التي تزيد على الثلاثمائة وخمسين واحة متناثرة هنا وهناك على رمال الصحراء، أشبه بالأرخبيل في البحار وهي تغطي حوالي ألفي ميل مربع من الأرض، ويقع الإقليم بين خطي عرض 03/82 درجة شمالا، وبين خطي طول 4 غربا إلى 1 شرقا، وهذا الموقع امتدادا طبيعيا لمنخفض تنزروفت نحو الشمال. والإقليم حاليا يقع ضمن امتداد أدرار، تيميمون وعين صالح، الأولى كانت تعرف باسم منطقة توات، والثانية باسم منطقة قورارة ، والثالثة باسم منطقة تيديكلت، وقد أطلق المؤرخون القدماء على المناطق الثلاثة مجتمعة اسم (إقليم توات).³

2-مكونات النظام الواحاتي:

يتكون هذا النظام من الماء، النخيل، السكن والإنسان، هذه العناصر الأربعة هي التي تهيكّل هذا المجال الصحراوي، ونشأة الواحة ليست دوما مربوطة بوجود منبع مائي فهي عقدة في مجال علاقات وليست نظام زراعي، إذن الواحة مجال للتبادل التجاري فهي منطقة إجتماعية وإقتصادية، فالمجال الواحاتي مبني على ثلاثية الماء، السكن، النخيل ولنتكلم عن النظام الواحي لابد من الإنسان فهو المحرك الإجتماعي المنظم لهذا المجال.⁴ ويتكون النظام الواحاتي ممايلي:

أ الماء: حيث يعتبر سبب نشأة العديد من الواحات، فوجود مصدر مائي ضروري سواء كان سطحيا أو جوفيا، حيث يتم استغلاله والاستفادة منه باعتماد تقنيات خاصة، تختلف هذه الأخيرة على حساب الموقع والوسائل المستعملة ومصدر الماء، نذكر من هذه التقنيات الآبار الارتوازية، الطبقات السطحية والفقارة ، هذه الأخيرة المنتشرة في الواحات التواتية ، تعتبر من أبرز المعالم التاريخية بمنطقة أدرار بلغ صيتها العالمية، نظرا لقدمها وبقائها لحد الآن، إنها تذكرنا بعجائب الدنيا السبع كأهرامات مصر، حدائق بابل المعلقة. و الفقارة عبارة عن آبار متسلسلة تتصل فيما بينها عن طريق القنوات الأرضية تبدأ في الغالب من المنطقة المرتفعة

² - أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات: أبحاث في التراث، ج2، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011، ص5.
³ - مبروك مقدم، التنظيم الواحي للمجتمع القصورى التواتي خلال القرنين 18 و19 ميلادي، ج2، دار هومة، الجزائر 2008، ص11.
⁴ - عرباوي كوثر، المرجع السابق، ص41.

إلى المنحدر قصد جلب الماء من الأعلى إلى الأسفل كما بها فوهات للتهوية والصيانة وهذا ما يلفت انتباه الزائر خاصة بالطائرة وكأنها تلال طينية، تبعد البئر الواحدة عن البئر الأخرى حوالي 10 أمتار.⁵

تتكون الفقارة من:

البئر الرئيسي: (المنبع) يعد أول بئر في رأس الفقارة، بعمق أكبر من الإبار الأخرى بحيث له قوة دفع كبيرة.

- آبار الأشغال: تعتبر آبار لغرض إنجاز أعمال الخدمة والصيانة.

- الساقية الأولية (أغيسروا) هي مكان لاستقبال المياه القادمة من النفق ليتم توجيهه إلى القسرية وبعده يتم توزيعه في مدخل البساتين لغرض توزيعه.

- القسرية: تعتبر محطة تقليدية لقياس منسوب مياه الفقارة وتقسيمها على جميع المساهمين (الملاكين) وتقع القسرية عند أسفل الفقارة ومدخل البساتين.⁶

ب- النخيل: تتوزع في الأماكن القاحلة والشبه قاحلة أما المناخ فيكون قليل الأمطار، ذو صيف طويل ورطوبة منخفضة، بحيث البيئة المناسبة التي تحتاجها النخلة تكون بدرجة حرارة مابين 24 إلى 34، فالنخلة تكيفت للعيش مع هذه الظروف القاسية، أما بالنسبة للتربة الملحية والقوية أيضا.

ج- المجال المشيد: هي نسيج عمراني متجانس، مترابط ومتراص، مندرج من العام إلى الخاص ناتج عن عادات وتقاليد السكان (حق الاستفادة من التشميس والإضاءة، الحرمة، الجيرة) كذلك الاختلافات العرقية والممارسات الدينية للفئات الاجتماعية المختلفة المكونة للمجال المشيد هي الأصل في إنتاج المجالات والأحياء.

فهو شكل متماسك ومنظم وفق مبدأ معين ذو لون أرضي (متلائم مع المحيط) وإمتداد أفقي ذو سلم متلائم مع المحيط، وله علاقة مباشرة مع المجال الأخضر (النخيل).⁷

3-الواحات مكون أساسي للشبكة العمرانية في توات:

⁵ - مرزاية بلامة عائشة، دراسة وصفية حول الإرث الثقافي والسياحي بمنطقة أدرار الجزائر، المعهد الوطني للأبحاث الزراعية، 2006، ص 4.

⁶ عرباوي كوثر، المرجع السابق، ص 42.

⁷ عرباوي كوثر، المرجع نفسه، ص 48.

القطاع التقليدي بالمنطقة ممثل في مجموعة من الواحات الواقعة بمحاذاة القصور والمنتشرة بشكل طولي من الشمال إلى الجنوب على طول الطرق الوطنية، والشيء الملفت للنظر هو أن القصر والواحة يشكلان تلازما، فالمنطقة لا تخلو من قصر دون واحة أو واحة دون قصر.

أن الواحات التقليدية في الواقع هي مكاسب عائلية، تتوزع على شكل حقول صغيرة (الجنانات) والتي تتميز بوجود إنتاج فلاحي يغلب عليه محصول التمور إلى جانب بعض المحاصيل الأخرى تكون هاته البساتين بمحاذاة القصور حيث أن الواحة عادة تأخذ اسم القصر.

تجمع الواحة في القطاع الفلاحي التقليدي قسمين أحدهما مسقي والآخر بور، يكون الجزء المسقي منتشرا على مساحات كبيرة حول الينابيع من المياه حيث أن المزروعات البيئية والنخيل تكون مسقية بواسطة مياه الفقاير أو الآبار، تجدر الإشارة إلى أن مساحة الواحة المسقية في تقليص دائم وهذا راجع لسببين رئيسيين، أولهما نقص مستوى منسوب مياه الفقاير باعتبارها المصدر الرئيسي لمياه السقي، ثانيهما تراكم الرمال حول الواحات نتيجة الزوايع الرملية، حيث أن هذا العامل الأخير يسبب مشاكل في عملية السقي إذ يعمل على تعطيل سير المياه عبر نظام السقي المستعمل (الغمر) إضافة إلى إتلاف التربة وعدم صلاحيتها للإنتاج بسبب تواجد كميات كبيرة من الرمل بها. إضافة العوامل الاجتماعية والاقتصادية والتي تلخصت في التحول الكبير الذي عرفه النشاط الاقتصادي بالتخلي عن الفلاحة والتوجه نحو القطاعات الأخرى الأوفر دخلا وأقل جهدا وبالتالي عزوف اليد العاملة التواتية عن النشاط الأول (الحراثين). ضف إلى ذلك عوامل التحضر التي عرفت المنطقة وما أفرزته من توسع للعمران على حساب أراضي الواحة.

بينما ينحصر البور في نخيل في مساحات خالية ويظهر عندما تنعدم وتضمحل مصادر المياه وتزحف الرمال على النخيل، ينجم عن ذلك صعوبة في استغلال هاته الأراضي وصيانة النخيل مما يتسبب في تصحر الواحة بالكثبان الرملية فتصبح مهجورة تتحول بذلك إلى واحات بور.

يحتوي المجتمع الواحاتي التواتي على 243479.05 هكتار كمساحة إجمالية لمجموع مساحات واحات قصورها 145، حيث تكون كل واحة محادية لكل قصر وتكون عادة بالجهة الغربية محصورة بين القصر من الشمال والسبخة من الغرب ، ترسم التركيبة (قصر - واحة - سبخة) معالم شبكة عمرانية فريدة بتوات.

تختلف هذه الواحات من حيث الحجم وهذا راجع لتركز السكان في كل قصر، فشمّل الاستغلال بالمنطقة مساحة قدرت ب 9512 هكتار أي ما يعادل 41.02 % من المساحة الزراعية بينما النسبة المتبقية (66%) فتدخل في نطاق أراضي بور.

يتم الاستغلال الواحي في مساحات ضيقة على شكل قطع حسب الملكيات العرفية للأراضي الزراعية في القطاع التقليدي أو البساتين والتي تعرضت لتقسيم والتجزئة وبالتالي التحول إلى ملكيات صغيرة وهذا يحدث بعد وفاة المالك واقتسام الأرض بين الورثة، كما تضبط حدود كل بستان بحدود طينية من التراب وكذا بحدود فاصلة بأوراق النخيل (أفراق).⁸

4- القصر كعمارة تقليدية :

يمكن الحديث عن مجمل عناصر الثلاثية لهيكل نظام القصر، فبالإضافة إلى الواحة تجد القصر القديم الذي يعبر عن عادة النواة الأولى للاستقرار وثالثا نجد التوسعات المحادية له والمعبرة عن نتاج الحياة الحديثة وكذا تجسد مختلف البرامج الموجهة لتحسين السكن وترقيته بسبب تحسن مستوى المعيشة وإدخال وسائل جديدة بديلة عن الطوب والطين وجذوع النخيل كمواد أساسية في بناء المساكن التقليدية، فأغلب التوسعات استعمل في بنائها الإسمنت والخرسانة المسلحة.

إستغل التواتيون المحيط في شكل تجمعات تراصفت على طول وادي مسعود في شكل سيحات في الفيافي والفقار، فالشكل العام الذي يأخذه كل تجمع في الصحراء عموما هو القصر، الذي بالتعريف هو قرية تقليدية صحراوية، هذا التجمع من البنايات السكنية المحمية ذو الحجم المتغير تتطور حوله واحة نخيل يعيش من أجلها وتعيش من أجله.

فالقصر هو قرية محصنة أو بالأحرى مجموعة كتل سكنية متراسة ومتلاحمة فيما بينها، يقطنها مجموعة عائلات، كثير ما تنتمي إلى أصول عرقية واحدة وطبقات اجتماعية مشتركة وقد تكون مختلفة يحيط بهذه التكتلات سور مدعم بأبراج ركنية وتتخلله مزاغل وقد تخلوا بعض الأسوار من ذلك ليعوض عنه بجران البيوت

⁸ - محمد عبد الكريم، الشبكة العمرانية لإقليم توات بولاية ادرار، إليات التنظيم والأداء المجالي، مذكرة ماجستير في الجغرافيا والتهيئة العمرانية، جامعة وهران 2 محمد بن أحمد، وهران 2016، ص 115-118.

الخارجية لتشكل في النهاية ما يشبه السور يحيط بكل أرجاءها، قد تنسب القصور عادة إلى ولي صالح باعتباره مؤسس أو صاحب الفضل في لم الشمل مثل سيدي عبد القادر وسيدي سليمان بن علي بأولاد أو شن، وقد تعود التسمية إلى الإتجاهات مثل قصر قبلي الجنوبي والقصر الزعراني الشمالي أو إلى لون مادة البناء مثل قصر الأحمر بتامست، كما قد ينسب إلى القبيلة أو الجنس المستقر به مثل قصر أولاد يعقوب قصر أولاد أحمد...، وقد ينسب إلى الطبقة الاجتماعية مثل قصر العرب، قصر المرابطين، وأحيانا يرفق القصر بكلمة بصفة من الصفات الدالة على موقعه أو قدمه أو حدائته أو كبره مثل القصر التحتاني، القصر الفوقاني، القصر القديم، القصر الجديد، القصر الكبير...، وقد تحتوي القصور بداخلها على قصبة أو قصبتين محصنتين ومسجد جامع عادة ما يطلق عليه بالجامع العتيق، كما يشمل القصر المرافق الضرورية كالرحاب وغيرها.⁹

ويرتبط القصر عادة بالجانب الفلاحي ارتباطا وثيقا وغالبا ماتحيط به البساتين الخضراء باعتبارها مصدر اقتصادي رئيسي للسكان كما أنها تمثل حاجزا منيعا للتقليل من حدة العواصف الرملية بالإضافة إلى تفسير التيارات الهوائية وتارة يكون القصر بأطراف غابات النخيل أو حتى بعيدا عنها وذلك لكون الأراضي الزراعية ذات قيمة عالية فيفضل استعمالها للزراعة بدلا من السكن.¹⁰

القصبة: هي تجمع سكاني محصن محاط بسور ومزود بأبراج المراقبة في الزوايا ويحيط بها خندق ولعل هذا النمط فرضته عوامل الطبيعة وضرورة الأمن لإحباط محاولات الإختراق، ونجد أن القصبة تتبع في تكوينها نظاما محكما من حيث موقع المبنى، قريبا وبعدها من المصادر المائية ووضعها فوق مرتفع صلب، وتأخذ القصبات أشكال فمنها المربعة والتي شيدها العرب ومنها ذات الشكل الدائري وهي الأقدم حسب المؤرخين وهي عبارة عن قلاع سكنها اليهود قديما في حين تخطيط الأحياء يشعرك بوجود تخطيط فيزيائي وميزة جغرافية طبعا لمكانة السكان.¹¹

⁹ - محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 33.

¹⁰ - محمد عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 34.

¹¹ - محمد عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 35.

- الأبراج: تتوضع في زوايا القسبة والبرج عبارة عن مبنى ذو شكل هرمي واسع في القاعدة ويضيق في الأعلى يحتوي على سلالم بداخله وفتوحات لمراقبة العدو، وفي أسفلها مخازن لتخزين المحاصيل الزراعية والأملاك الجماعية تكمن وظيفتها في مراقبة العدو والدفاع عن القصر.

- السور: وهو الحصن الذي يحيط بالمجمعات السكنية داخل القسبة، يصل إرتفاعه إلى ستة أمتار (06 م) وقد يزيد عن ذلك أما سمكه فيكون بمترين في الأسفل ليتناقص في الأعلى مهمته حماية العائلات والديار والدفاع عن القصر.

- الخدق: يحيط بالقسبة من كل الجهات مما يصعب على العدو إمكانية غزو القسبة يفوق متوسط عمقه المترين.

5- التحولات التي شهدتها المجتمع الواحاتي:

5-1- التقسيمات الإدارية: ونظرا لمجمل التحولات الإقتصادية والإجتماعية التي عرفت الجزائر بعد الإستقلال حدث توقيع للمراكز العمرانية وإعادة توزيعها وفقا لأدوارها الجديدة ومن ثمة إعادة تنظيم المجال من خلال عدة سياسات متباينة لعل أبرزها التقسيمات الإدارية المتعاقبة.¹²

فبعد أن كانت توات دائرة تابعة لولاية الساوره أصبحت ولاية بعد التقسيم الإداري سنة 1974م مشكلة من ثلاثة دوائر وهي أدرار، تميمون، ورقان و10 بلديات ومواصله واستمرارا للأهداف التي أفرزتها التنظيمات السابقة من أجل القضاء على الفوارق المجالية وتعبا للضروف الإقتصادية والإجتماعية جاء التنظيم الإداري لسنة 1984م تطبيقا لقانون رقم 84/08 الصادر في 04 فيفري 1984 وانجر عن هذا التقسيم 28 بلدية في ولاية أدرار.

ونظرا لمختلف التقسيمات الإدارية التي شهدتها الجزائر في إطار إعادة التنظيم والهيكلية الإدارية لولايات الوطن بعد الاستقلال (1974، 1963، 1984) فأقليم توات حسب آخر الترقيات الإدارية تتكون من 11 دائرة و28 بلدية، تتشكل من 294 قصرا تتوزع أغلبها على محور الطريق الوطني رقم 06، فشهدت القصور

¹² - محمد عبد الكريم، المرجع نفسه، ص 42

المراقبة تطورا وظيفيا وأصبحت مراكز رئيسية إضافة إلى مقرات البلديات الأخرى التي هي في الأصل قصورا تم تأهيلها بمختلف التجهيزات والخدمات المتعددة ساهمت في خلق ميكانيزمات جديدة سواء في طبيعة النشاط الإقتصادي وكذا حركية السكان.¹³

5-2- التحولات العمرانية : بدأ توسع المجال العمراني للمراكز العمرانية لتوات بداية دخول الاستعمار الذي عمل على إقامة منشأة عسكرية ومكاتب عبر بعض القصور البارزة في المنطقة.

كما جاء تدخل الدولة بعد الاستقلال جليا من خلال مخططات التعمير والتي خصت بشكل عام بالمراكز العمرانية الرئيسية بداية سنوات الثمانينات، فبالنسبة لمدينة أدرار والتي شهدت نمو مجاليا سريعا في غضون فترة وجيزة كاستجابة لسياسة التعمير من خلال المخططات (PDAU-PUD) والبرامج السكنية التي عرفت فيها المدينة نظرا للهجرة التي شهدتها من مختلف قصور الولاية وكذا التوافد الكبير من ولايات الوطن من بين هذه المشاريع نجد:

- **برنامج التجزئات السكنية:** للحد من النقص الكبير وإعطاء المواطن حق المشاركة في بناء مسكنه (وتعني تجزئة وتقسيم ملكية عقارية كبيرة) على نحو حصص متفاوتة المساحات بهدف إنجاز مباني موجهة لنشاط معين (سكني، تجاري، صناعي) كما يحدد ذلك المرسوم التنفيذي 176/91، جاءت التجزئات السكنية ضمن عمليات التوسع خارج نطاق القصور والتي تعتبر النواة الأولى للإستقرار لتكون وحدات سكنية جديدة. إما إجتماعيا ساهمت هذه التجزئات في إحداث التوازن الإجتماعي وحصول بعض الطبقات على قطع أرضية كانت تشغل الكاهل للحصول عليها.

- **السكن الريفي:** آلية لإعادة تشكيل القصور تهدف إلى ترقية الفضاءات الريفية وتثبيت السكان المحليين ويرمي إلى مساهمة الأسر في بناء السكنات في محيطهم الريفي، في هذه الحالة تكون مساهمة المستفيد بتخصيص قطعة أرض ملكا له ومساهمته في عملية البناء وهذه ماله خصته مختلف القرارات وكذا التعليمات الوزارية المشتركة رقم 06 المؤرخة في 31 جويلية 2002 الضاربة والمقننة لكيفيات انجاز ومتابعة مختلف

¹³ - محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 43.

عمليات البناء الخاصة بالسكن الريفي في إطار سياسة التنمية الريفية حيث وصلت قيمة الإعانة عام 2013م إلى 1000000 دج وهذا وفقا لأحكام المادة من قرار الاستفادة من أجل بناء مسكن جديد.¹⁴

– السكنات الإجتماعية: إنشئت جميع صيغ السكنات الإجتماعية بالمراكز العمرانية الرئيسية وظهرت في شكل تكتلات عمرانية لتساهم بذلك في عملية التوطين خارج القصور بأشكال هندسية وأنماط عمرانية حضرية جديدة. حيث تتشابه مساكن الكتلة الواحدة في الشكل وعدد الغرف، تبني هذه المساكن من طرف الدولة ويشرف عليها ديوان الترقية والتسيير العقاري، أما عن الصيغ السكنية الإجتماعية فتوجد إضافة إلى السكن العمودي الإيجاري (LPL) نجد السكن التساهمي (LSL) إضافة إلى السكن الوظيفي، السكن الترقوي والإجتماعي. وتجدر الإشارة أن السكنات التساهمية اقتصر على مقرات الدوائر دون سواها بينما تواجدت الصيغ الأخرى بمقرات البلديات فيما اقتصر نصيب التجمعات الثانوية والقصر على بعض المساكن الوظيفية لفائدة قطاع الصحة والتعليم.¹⁵

5-3- الاعتماد على موارد اقتصادية جديدة:

إن التحول الإجتماعية والإقتصادي الحاصل بالمجتمعات التواتية مرهون بما يحدث في التطورات الوظيفية والإدارية التي تعرفها تلك المجتمعات سيما أن أغلب الساكنة يعيشون الآن في أوساط ريفية. فبعد الإستقلال أخذت البنية الإقتصادية لتلك المجتمعات تتغير وبدأت ملامح المراكز تظهر بعد الترقيات الإدارية وتوجهها إلى وظائف إقتصادية أخرى (خدمات، صناعة، أشغال عمومية)¹⁶ وإن ترك الفلاحة والتوجه نحو قطاعات أخرى من صناعة وخدمات عمومية يعتبر تحولا جليا في البنية المهنية في توات بإعتبارها منطقة كانت فيها الفلاحة هي الوظيفة السائدة.

بروز تجارة الجملة و يتضح هذا من خلال تحليل البنية التجارية والأصول الجغرافية لتجار مدينة أدرار في السنوات الأخيرة، وقدم فئة كبيرة من التجار الشباب من شمال الجزائر. تدل هذه المعطيات على تنامي الدور الجهوي لهذا المركز الحضري وتطور التبادلات التجارية في الإقليم الصحراوي. كيف لا وقد بلغ عدد تجار

¹⁴ - محمد عبد الكريم، المرجع نفسه ص 85.

¹⁵ - محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 88.

¹⁶ - محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 108.

الجملة 520 تاجرًا، في حين قدر عدد تجار التجزئة بـ 3075 تاجر. تتركز طبيعة هذه النشاطات بالنسبة لتجارة الجملة على التجارة الغذائية، تجارة مواد البناء، الخردوات والملابس، أما بالنسبة لتجارة التجزئة فتتميز بظهور التجارة النادرة مثل الصياغة، المجوهرات، الاثاث...الخ، ساهمت هذه الحلقات التجارية في ربط مدينة أدرار بشبكة التبادلات الوطنية عبر محاور تجارية كبرى متخصصة باتجاه التجمعات الحضرية الكبرى بشمال البلاد كوهان وغرداية وسطيف وغيرها من المدن.¹⁷ وبعد أن كانت الفلاحة نشاطا رئيسيا أصبحت اليوم نشاطا ثانويا يمارس بعد انتهاء العمل في القطاعات الأخرى أو العطل أو نهاية الأسبوع، إذ يتمثل النشاط كواجب عائلي لدى البعض أو كممارسات إعتبارية يقوم بها كل أفراد الأسرة.¹⁸

5-4- التجهيزات التعليمية والتكوين:

يعتبر التعليم أحد المؤشرات الأساسية للتنمية الاجتماعية لذلك نجده من أولويات مختلف السياسات من أجل إنتاج وتكوين الإطارات والكفاءات.

حيث تتوزع الهياكل التعليمية الابتدائية في إقليم توات عبر كافة القصور، وإقتصار الطور الثانوي على مستوى مراكز البلديات إذ تعتبر الأطوار الابتدائية القاعدة الأساسية لتلقي الخدمات التعليمية لأنها تنظم فئة عريضة من التلاميذ فشهدت المنطقة تغطية واسعة شملت جميع القصور بمعدل إبتدائية بكل قصر، في حين ضمت بعض المراكز الرئيسية أكثر من ابتدائية على غرار مدينة أدرار التي ضمت 27 مؤسسة وقان التي ضمت 5 مؤسسات، بينما توزعت الهياكل التعليمية للطور المتوسط بمقرات البلديات وبعض التجمعات الثانوية ذات التركيز السكاني إذ تضم كل بلدية معدل متوسطين تقريبا.

أما خدمات الطور الثانوي للتعليم فإن المؤسسات التعليمية تتمركز بمقرات البلديات، كما أن توزيع هذه الثانويات مرتبط بعدد التلاميذ المتواجدين في كل بلدية، حيث تضم مدينة أدرار لوحدها 6 ثانويات في حين

¹⁷ - بدر الدين يوسف، مدينة أدرار وفق السياق الحضري الجديد، نحو إعادة تنظيم المجال الجهوي للإقاليم الصحراوية الجنوبية الغربية للجزائر، مجلة إنسانيات، ص 10.

¹⁸ - محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 114.

ضمت مقرات الدائر (تسابيت، فنوغيل، زاوية كنتة، رقان) ثانويتين بينما مقرات البلديات الأخرى مؤسسة واحدة.¹⁹

التعليم العالي: يعد معهد الدراسات العليا الإسلامية الذي أنشأه الشيخ محمد بالكبير بداية التسعينات اللجنة الأولى لتأسيس مؤسسة علمية أكاديمية بمدينة أدرار، أسفرت بعد ذلك على تجسيد مشروع الجامعة سنة 2001م²⁰، تقدم هذه الجامعة خدمات تعليمية ذات تخصصات علمية متعددة، وتضم 5 كليات (كلية الأدب واللغات، كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، كلية العلوم والتكنولوجيا، كلية العلوم الإقتصادية وعلوم التسيير)، يصل نفوذ الجامعة حسب الأصل الجغرافي للطلبة جميع أقاليم الولاية بل تتعداه خارجها، طلبة من ولايات الشمال (البيض وسعيدة) إضافة إلى وجود طلبة أجانب من مالي والنيجر وفلسطين والصحراء الغربية.²¹

5-5- التجهيزات الصحية بتوات:

تعتبر التجهيزات الصحية من أهم الوظائف الخدماتية، يعتمد نظام الخدمات الصحية بإقليم توات على القطاعات الصحية باختلاف التجهيزات المتوفرة في كل منها بإضافة إلى العيادات الطبية الخاصة والصيدليات، ووصل عدد القطاعات بولاية أدرار إلى ثلاثة هي قطاع أدرار، قطاع رقان، قطاع تيميمون وتشمل هذه القطاعات التجهيزات التالية:

المستشفيات: يضم القطاع مستشفين بمقر الولاية وآخر بتيميمون ومستشفى آخر برقان، وآخر في أوقروت قيد الإنجاز، حيث رأى مستشفى أدرار النور منذ الفترة الاستعمارية، وتم تحديثه بعد الاستقلال في إطار تطبيق سلم التجهيز، ويتألف هذا التجهيز من 330 سريرًا، موزعين على الاختصاصات التالية: الجراحة العامة، الأشعة، التخدير، أمراض النساء.

أعطت سياسة الدولة لتزويد المناطق الجنوبية بالأطباء المتخصصين ثمارها، إثر تطبيق مبدأ الخدمة المدنية على الأطباء الشباب المتخرجين من الجامعات، فأصبح يتكون هذا الطاقم من أطباء جزائريين، بعد ما كان جل

¹⁹ - محمد عبد الكريم، الرجوع نفسه، ص 129.

²⁰ - بدر الدين يوسف، المرجع السابق، ص 9.

²¹ - محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 130.

الأطباء أجنب في بداية التسعينيات، انعكس ذلك بتطور نوعية الخدمات الطبية، والتغطية الجغرافية لهذه

المنشأة.²²

العيادات متعددة الخدمات: وهي متوفرة في كل بلديات الولاية، فيما تحتوي بلدية أدرار على ثلاثة منها.

قاعات العلاج: تتواجد قاعات العلاج في كل بلديات القطاع الصحي بأدرار بإجمالي 49 قاعة علاج إذ تتواجد في القصور الثانوية ذات التركيز السكاني الكبير.

العيادات الخاصة: تعد العيادات الخاصة بتوات قليلة وتتركز أغلبها بمقر الولاية وفي إختصاصات متعددة (طب العيون، والأمراض الصدرية، جراحة الأسنان وغيرها...)

5-6- شبكة الطرق المهيكلية للمجال التواتي:

إن التطور الذي عرفته شبكة الطرق في ولاية أدرار من جميع أنواع الطرق سواء أكانت وطنية أو ولاية وحتى بلدية وخاصة في منطقة صحراوية مترامية الأطراف.

أ- الطرق الوطنية: تمتد الطرق الوطنية بطول 2313,6 كلم أي مانسبته 70,42 % من مجموع الطول الكلي لشبكة الطرق بولاية أدرار.

الطريق الوطني رقم (06) الرابط بين بشار ورقان والطريق الوطني رقم (51) الرابط بين غرداية وتيميمون والطريق الوطني رقم (52) الرابط بين رقان وعين صالح مرورا بأولف.

تعد الطرق الوطنية المحور المفضل للتبادلات الناتجة عن مختلف الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية على المستوى المحلي أو الإقليم

ب - الطرق الولائية: تلعب هذه الطرق دورا مكملا للطرق الوطنية إذ تنساب هذه الشبكة في كل

الإتجاهات مغطية بذلك المجال التواتي تقريبا ، تربط مختلف الطرق بالطريق الوطني رقم (06) يبلغ طولها في إجمالي تراب الولاية حوالي 517,98 كلم وتبلغ 21 طريقا ولائيا.

²² - بدر الدين يوسف، المرجع السابق، ص8.

للطرق الولائية وظيفية إقتصادية كما لها دور فعال في تنظيم المجال، حيث تصل المجتمعات ببعضها البعض إذ تساهم في ربط كل أجزاء الإقليم.

ج- الطرق البلدية: يتمثل دورها في ربط القصور أو التجمعات القصورية خاصة بالطريق الوطني وكذا بالطرق الولائية ومن ثمة بالمراكز الحضرية تبلغ طولها بالولاية 453,65 كلم أي ما يمثل نسبة 13,81% من اجمال طول الطرق كما يبلغ عدد الطرق البلدية 99 طرقا، كما تنتشر هذه الطرق بشكل كبير نظرا لارتفاع عدد المجتمعات الريفية وضرورة فك عزلتها وربطها بأحدى الطرق الوطنية أو الولائية الأكثر فعالية وهذا قصد التنقل والحركة الدائمة بين مختلف المراكز.²³

خاتمة: إن التغيرات التي مست المجال الواحاتي التواتي شملت جميع نواحي الحياة من عمليات التوسع للبنية العمرانية والتي جسدت على مساحات خارج نطاق القصر، عرفت أغلب التجمعات توسعات باتجاه الطرق الوطنية الثلاثة، فأصبح الطريق محور رئيسي تتوزع على جانبيه معظم المحلات التجارية وبعض التجهيزات الإدارية والتعليمية وغيرها، جاءت معظم التحولات في إطار مشاريع تنمية وبرنامج إسكانية التي جاءت بعد الإستقلال التي يغلب عليها طابع التجزئات العقارية فاحتوت جميع بلديات توات على عدد كبير من التجزئات والتي ساهمت في زيادة الإطار العمراني والمجالي بالقصور بشكل منتظم إضافة إلى السكنات الإجتماعية ومساكن البناء الريفي، تختلف هذه السكنات في طابعها المعماري عن الطابع المميز للقصر ومساحات تضمن تواجد خدمات وتجهيزات متنوعة، إضافة إلى جملة الميكانيزمات الخارجية التي مثلتها السياسات والمشاريع الموجهة، مما أنتج ديناميكية داخلية للمجتمع في المنطقة إرتكزت على المصادر الإقتصادية التي عرفت التوجه في سوق العمل نحو قطاع الخدمات ونحو قطاع الصناعة، وبالتالي الاندماج في نشاطات جديدة موازية للدخل تتيح للسكان فرصة تغيير مساكنهم وتوسيعها بحسب ما تقتضيه ضرورة الحياة العصرية.

قائمة المراجع:

1- ، أحمد أبا الصافي جعفري، من تاريخ توات: أبحاث في التراث، ج2، مقامات للنشر والتوزيع، الجزائر،

2011، .

²³ -محمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 66.

2- بدر الدين يوسف، مدينة أدرار وفق السياق الحضري الجديد، نحو إعادة تنظيم المجال الجهوي للإقليم الصحراوي الجنوبية الغربية للجزائر، مجلة إنسانيات.

3- مبروك مقدم، التنظيم الواحي للمجتمع القصورى التواتى خلال القرنين 18 و19 ميلادى، ج2، دار هومة،الجزائر 2008،

4-محمد عبد الكريم، الشبكة العمرانية لإقليم توات بولاية ادرار، إليات التنظيم والأداء المجالى، مذكرة ماجستير فى الجغرافيا والتهيئة العمرانية ، جامعة وهران2 محمد بن أحمد، وهران 2016

5- مرزاية بلامة عائشة، دراسة وصفية حول الإرث الثقافى والسيحي بمنطقة أدرار الجزائر، المعهد الوطنى للأبحاث الزراعية، 2006 ،

6- عرباوى كوثر، تأثير النخيل على الجزيرة الحرارية العمرانية حالة الدراسة قصر ورقلة، مذكرة ماجستير فى الهندسة المعمارية، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2014-2015